

في ايطاليا



الدولة المهزومة التي تخطب الدول المنتصرة ودها !

لعنت موسولينى يوماً ما

ولكنها اليوم ترحم عليه !

قررنا أن ننتقل من حدود فرنسا إلى حدود إيطاليا بواسطة سيارة أجرة لعل الله يوفقنا إلى أولاد الخلال من موظفي الجمارك في الدولتين فيسهلون لنا مهمة الانتقال من دولة إلى أخرى دون عناء السؤال عن النقد وعن الحقائق وما تحويه الحقائق !

وأوقفنا الحظ في موظف سخييف بالجرمك الفرنسي القائم في نهاية مدينة د ماتون ، بساحل الريفيرا الفرنسية ، لم تؤثر فيه سيجارة (اللاكى ستريك) التي قدمها اليه زميل مستهتر كان يظن أنها كافية لاعتفائنا من السؤال والتفتيش . ودقق الرجل في السؤال والاستجواب ثم أصر على أن نخرج له ما في جيوبنا ليتأكد من صحة أقوالنا . . . فلما اتضحت له صحتها أخذ في الاعتذار وبدأ يقول انه ينفذ الأوامر ، ولكنى لم أقبل اعتذاره وأجبت به بصراحة اننى سأعرف كيف أعبر عن استيائى من هذه المعاملة !

وكان الحر شديداً ، وأطلق الفرنسيون سراحنا فلما أردنا الانتقال إلى حدود إيطاليا قالوا لنا ان السيارة لا تنتقل معكم لأنها لا تحمل التصريح !

قلت لهم : ولكننا ستوصلنا إلى محطة فنتوليو ، الإيطالية لنستقل منها قطار الساعة الخامسة إلى روما ، وستعود بعد ذلك نخذوا رقبها وترخيص سائقها وستعود اليكم بعد ساعة أو أقل . . .

قالوا : - كلا ! السيارة لا تنتقل !

وهكذا قدر لنا أن ننتقل من فرنسا إلى إيطاليا سيراً على الأقدام وإخال ينقل حقائقنا بين حدود الدولتين على عربة نقل صغيرة يجرها بيده !

ويظهر أن موظفي الجمر ك الايطالى أحسوا بما لقينا من عناء فسهلوا لنا المهمة وخاصة بعد أن أفهمناهم اننا نريد اللحاق بقطار الساعة الخامسة من فتميل . ومن الحدود حملتنا سيارة الأجرة (الاوتوبوس) إلى محطة فتميل أولى المدن الكبيرة على الريفيرا الايطالية ...

« الفكّة »

وكان أول عمل لنا بعد الوصول إلى فتميل هو استبدال النقود الفرنسية والانجليزية بنقود ايطالية لكي تتمكن من شراء التذاكر إلى روما ... واجتمع حولنا سمسة السوق السوداء وأخيراً قال لى رجل توسمت فيه الطيبة والأمانة :

- خير الطرق أن تستبدل النقود من البنك إلى جانب المحطة !

فوافقت في الحال واتجهت إلى المحطة ووجدت إلى جانبها حجرة كتب عليها بنكو ، أى « بنك » فقصدتها في الحال وكان السماسرة قد تقدموني إلى هناك . ووجدت عدة رجال لا يرتاح الناظر إلى وجوههم وقد جلسوا جميعاً حول مائدة خشبية بعضهم يكتب والبعض يعد الأوراق المالية . وكانوا قد عرفوا بقدومي واستعدوا له . فلما سألتهم عن سعر الليرة الواحدة قالوا لى انها تساوى نصف الفرنك الفرنسى ...

وكنت قد علمت فى ذلك الصباح وأنا فى « نيس » انها تساوى أكثر من هذا فلما ناقشتهم قالوا ان هذا هو السعر الرسمى وانهم لا يصرفون بأقل من هذا السعر وأطلعنى أحدهم على دفاتره . ولم يكن فى الوقت متسع للجدل إذ لم يبق غير خمس دقائق على موعد القطار فصرفت وأسرعت لشراء التذاكر ، وتركت من ورأتى السماسرة بعد أن رأيتهم يتسلمون « العمولة » !

وهذا هو « البنك » الذى يتجر علنا فى السوق السوداء !

في المحطة

ويظهر أن السماسرة قد وجدوا في شخصي « الضعيف » صيدا سهلا فأسرع إلى أحدهم يدلني على شباك التذاكر وأشار إلى الازدحام ثم قال لي ان في وسعي أن يدلني على شخص يمكنه أن يحضر لي التذاكر في الحال حتى لا يفوتني القطار . . فوافقت وأمرى الله . . ! وحدثت اتصالات سريعة ثم دخل أحدهم إلى الحجرة التي تصرف منها التذاكر للجمهور واتصل بأحد الموظفين .

وأسرعت أنا إلى الشباك لأدفع النقود فأخرجت بتصرفي هذا مركز السمسار ومركز الموظف المحترم الذي سيشاركه الاسلاب والمغانم . . . وحاول السمسار أن يبعدني عن الشباك وطلب مني أن أذهب إلى القطار وسيلحق بي هو ! ولكنني صممت على الدفع بنفسى وسألت الموظف كم يريد . .

واضطر الموظف أن يجيب . . . فطلب ٩٦٠٠ ليرة . وكان كل ما معي ١٠ آلاف ليرة فقدمتها اليه . وكان يظن انه ليس معي ما يكفي لدفع هذا المبلغ فلما وجده أمامه أسقط في يده وتبادل مع السمسار نظرات ذات معنى وكأنه يقول له : - لقد ضاعت علينا الفرصة !

ولكنه مع ذلك صمم على الانتقام ، أو على الأقل ، على بذل المحاولة الأخيرة ! فأمسك بورقة من أوراق الخمسة آلاف ليرة التي قدمتها اليه وقلبها ثم ردها إلى بدعوى أن طرفها ممزق من الجزء الأعلى !

وثرث في وجهه وأخذت أصيح به : « بنكو ! بنكو ! » أي انني أخذتها من البنك ، ولكنه ابتسم وكرر الرفض وكان صغير القطار قد علا وهو يتأهب للتحرك فجمعت أوراقى المالية من أمامه بسرعة وهددته بأنى سأشكوه إلى ناظر المحطة فضحك وركبت القطار مع الزملاء دون تذاكر وارتيمنا على المقاعد نحفف العرق المنهمر من وجوهنا !

محجوز

ولم يمض علينا أكثر من ربع ساعة في عربة الدرجة الأولى التي جالسنا بها حتى حضر إلينا جندي وأفهمني أن هذه العربة محجوزة لأحد النواب وأنه يجب أن نغادرها لأن النائب قد يصعد في أي مكان فقلت له أننا سنغادرها إذا جاء حضرة النائب المحترم... فرفض - في وقاحة - وقال أنه من الخير أن ننقل حقائبنا في الحال إلى مركبة أخرى وإلا فانتنا سنجدها خارج القطار كله !

وقلنا إن الرجل ينفذ الأوامر وأنه لا موضع لمؤاخذته في ذلك ، فبدأنا عملية نقل الحقائب والقطار مستمر في سيره... ولم نكد ننتهي منها ونستقر في أماكن جديدة حتى وجدنا أشخاصا آخرين يحتلون الحجرة المحجوزة للنائب المحترم ويدخلونها مع حقائبهم على مرآى من الجندي النشيط ونحت اشرافه

ويظهر أنهم كانوا دأبرع ، منا في فهم اللغة التي يجب التعامل بها مع جنود إيطاليا !

حجرة النوم

وكان من المقرر أن نبيت في القطار لأننا لا نصل روما الا ظهر اليوم التالي ، فلما سألنا الكومسارى ، قال لنا ان الاماكن تحجز في جنوه وانها لا تدخل في اختصاصاته ..

وفي جنوه أقبل حارس عربة النوم فطلبنا منه الاماكن فابتسم ابتسامة ذات معنى... وقال أن الأجرة المقررة ، هي ٢٠٠ ليرة... وكان (الكومسارى) قد أخبرنا أنها ٤٠٠ ليرة فقط !

وكننا قد عرفنا كيف يجب ان نتعامل في هذه البلاد فقلنا لا بأس فأحجز لنا أماكن فابتسم من جديد وقال :

— لا يوجد حيز أما كن . . فالأما كن لدى . . ولكن أنا عندى أولاد . . .
كذا . . وكذا . . وكذا !

وكان كلما قال ، كذا ، أشار بيده إلى قامة ولد من أولاده !
فضحكت وقلت له :

— نعم ! ان من الحق ان تكسب لكى تربى أولادك وتتفق عليهم . . . نحن
نفهم هذا جيداً !
واطمان الرجل فقال :

— ولا تنسى أيضاً ياسيدى ان الحياة الآن صعبة جداً وغالية جداً !
فوافقته وبدأت بعد ذلك المفاوضات العملية . . بدأت فى عربة النوم نفسها بعيداً
عن أعين الرقباء . . . وكانت المشكلة الأولى مشكلة الدفع فالرجل يقترح علينا
أن ندفع بالليرات ونحن نصر على الدفع بالاسترليني !

وقبل الرجل فى النهاية أن ندفع بالجنيهات الانجليزية فجاءت مشكلة سعر النقد وكم
يساوى الاسترليني فقلت أنه يساوى ٢٠٠٠ ليرة واصر هو على أنه يساوى ١٥٠٠ فقط ..
وكانت مشكلة لا تقل تعقداً عن مشكلة الارصدة الاسترلينية التى واجهتها مصر
ولكن المفاوضات انتهت اخيراً بنجاح و ، تسلم ، الرجل ستة جنيهات استرلينية ثمنا
لثلاثة محال مستقلة فى عربة النوم فتحبا لنا وأحضر لنا الماء المعدنى الثلج - على
حسابه الخاص ! - ثم تمنى لنا النوم الهنىء والأحلام السعيدة وانسحب شاكراً .

أما الجنيهات فقد دخلت كلها جيبه الخاص ، ولعله اشرك زملاءه فى جزء صغير
منها بدليل انه لم يستخرج لنا ايصالاً أو تذكرة ، وما تبيناه أثناء المفاوضات
من الأساليب ، وما عشناه بعد ذلك فى محطة الوصول !

وبعد . . . ! فهذه هى ايطاليا الجديدة . . .

هذه هي إيطاليا التي خلفتها الحرب والتي لا تزال آثار الاحتلال قائمة
بها رغم أنها كانت من الدول التي أعلنت الحرب على ألمانيا واشتركت مع الحلفاء
في المرحلة الأخيرة منها . . .

والذين زاروا إيطاليا قبل عهد موسوليني يرون تشابهاً كبيراً بين حالتها اليوم
وحالتها في ذلك الوقت عندما كان السائح يفضل أن يلزم باخرته إذا مر بالموانئ
الإيطالية ، فلا يغادرها خوفاً مما قد يقع له من حوادث . . .
ولكن موسوليني كان قد خلق إيطاليا من جديد . . . وجعلها من أولى بلاد
السياحة في أوروبا . . .

قالت لي سيدة إيطالية وأنا أسألها عن شعور الإيطاليين اليوم نحو
موسوليني . . . قالت لي همساً وهي تتلفت حولها :

— ياسيدي ! ان ألد أعداء موسوليني يترحمون عليه اليوم ويتمنون عودته
بعد ان لعنوه . . . فهم يعرفون اليوم انهم يعيشون دون حكومة . . . وانه
ليس هناك شخص مسئول في البلاد يمكن للمظلوم ان يشكو اليه ما يلحقه
من ظلم . . . !



حرب بين روسيا وامريكا...

في داخل ايطاليا

تحاول ايطاليا أن تتبع سياسة الحياد بازاء الشرق والغرب ، وقد سارت على سياسة الحياد فترة طويلة من الزمن فلم تشأ أن تغضب الدول الغربية وخاصة في مدة الاحتلال إذ كانت تعتمد في اقتصادياتها على هذه الدول وشهدت في ظل الاحتلال نوعا من الرخاء لم تشهده الدول التي انتصرت في الحرب ... فما بالك بدولة مهزومة ؟ ولكن ايطاليا مع ذلك كانت حريصة على إرضاء روسيا وخاصة بعد أن رأت كيف تحولت شبه جزيرة البلقان كلها تقريبا نحو الشيوعية . ومع دقة سياسة الحياد التي اتبعتها ايطاليا فانها لم تتمكن من السير عليها طويلا وكان لابد لها أن تحدد موقفها بالضبط فإما أن تتجه كلية نحو الشرق أو نحو الغرب .. وذلك نتيجة محتمة لموقعها الجغرافي .

تنازع الأحزاب

ويبلغ عدد سكان ايطاليا في الوقت الحاضر ٤٦ مليوناً . . . وأهم الأحزاب هو الحزب الذي يرأسه السنيور دي جاسبري واسمه الحزب المسيحي الديمقراطي ، وهو الذي يهيمن على السلطات في الوقت الحاضر ويدعو إلى سيطرة النزعة الدينية في السياسة . وقد سار حزب دي جاسبري على سياسة اشتراكية أساسها فرض ضرائب ثقيلة واتخاذ اجراءات شديدة لوقف التضخم النقدي في ايطاليا ، ولكن أثقلت هذه السياسة كاهل الطبقة المتوسطة التي قوامها عشرة ملايين نسمة . وكانت هذه الطبقة أكثر الطبقات تأثرا بالأحداث التي وقعت في تشيكوسلوفاكيا عندما استولى الشيوعيون فيها على السلطة ، كما تأثرت بالمعاونات الكبيرة التي قدمتها الولايات المتحدة - ولا تزال تقدمها - لايطاليا . . . وقد يكون لكل ذلك أثره في ترجيح كفة أحزاب الوسط المعتدلة في الانتخابات .

الشيوعيون

والشيوعيون في ايطاليا لا يقل عددهم عن ١١ مليوناً وهم يهتمون دى جاسبرى بأنه ضالع في عمالة البريطانيين ليظفر برضاهم ، وهم يعملون بكل قواهم على ان تنقل السلطة إلى أيدي الكتلة الشعبية، وذلك للحيلولة دون انتقالها إلى أيدي الاحتكاريين والرأسماليين وغيرهم من النفعيين الذين تسبوا في حربين عالميتين كبيرتين .

والتنافس بين أمريكا وروسيا على أشده في ايطاليا ، وقد اعلنت روسيا عطفها على مطالب ايطاليا الخاصة بمستعمراتها السابقة كما انها لوحت باستعدادها للتنازل عن نصيبها في الأسطول الايطالى ولرده لاطاليا في حين أوضحت أمريكا موقفها باعلانها أن استيلاء الكتلة الشيوعية على السلطة في ايطاليا سواء عن طريق الانتخاب أو بأية وسيلة أخرى سيكون معناه حرمان ايطاليا من المساعدة الأمريكية المقررة لها بموجب مشروع مارشال .

وكما سبق أن ذكرنا - ان الايطاليين جميعا وعلى رأسهم الطبقة الوسطى - يقدرّون تمام التقدير أثر المساعدة الأمريكية في انعاش ايطاليا . . . ولذلك فان نقطة الضعف عند الشيوعيين الايطاليين هي عجزهم عن التقدم بمشروع يمكن أن يحل محل مشروع مارشال في تقديم المساعدة الاقتصادية للبلاد .

وكان من نتيجة هذا العجز انهم امتنعوا عن الاعتراض على مشروع مارشال بمثل الصراحة التي اعترض عليه بها الشيوعيون في كل بلد آخر .

ويعتقد كثيرون أنه لو وجدت الشيوعية ثغرة تنفذ منها إلى ايطاليا فان ذلك سيكون فرصة مواتية لها لتمد نفوذها إلى فرنسا وغرب المانيا . . .

وهذا هو ما دعا الدول الغربية إلى تقديم ميناء تريستا إلى ايطاليا قبيل الانتخابات العامة فيها فان الدول الغربية تريد بجميع الوسائل أن تمنع الشيوعيين من الفوز في تلك الانتخابات حتى لا تتاح لهم فرصة الاستيلاء على السلطة .

موقف البابا

والبابا على رأس الكنيسة يؤيد أحزاب اليمين لأنه يعلم جيداً أن الشيوعيين سينتقصون الكثير من سلطانه في إيطاليا والعالم الكاثوليكي لو انتقل اليهم الحكم . وقد كانت الكنيسة أولاً حريصة على استقلالها لاتجاهر بتأييد حزب من الأحزاب حتى لا يقال أنها خرجت عن مهمتها الروحية وأخذت تشتغل بالسياسة وكانت تكتفي بتأييد حزب الديمقراطيين المسيحيين تأييداً أديباً ولكنها - بعد الانقلاب التشيكوسلوفاكي - خرجت عن حيادها وبدأت حملة تأييد قوية لتأييد أحزاب اليمين في كنائسها .

خطر الحرب الأهلية

والأسلحة في إيطاليا منتشرة اليوم في كل مكان وخاصة في جنوا وميلانو وتورينو ويستطيع كل إيطالي أن يحصل على سلاح ، كما أنه يقال أن يوغوسلافيا تهرب الأسلحة إلى الشيوعيين في إيطاليا ليكونوا على استعداد ولذلك يخشى المراقبون للحالة في شبه الجزيرة أن تنتهي حالة التوتر القائمة بين الأحزاب إلى اندلاع نار الحرب الأهلية إما بقصد إحداث الانقلاب الشيوعي وإما بقصد منع وقوعه ، وفي الحالين ستعرض البلاد لأخطار وخسائر قد تفوق ما تعرضت له في مدة الحرب وخاصة إذا تدخلت قوات خارجية لتأييد فريق من الفريقين المتنازعين . ولا شك أن الدول الأخرى لن تقف مكتوفة الأيدي بازاء حرب داخلية تنشب في إيطاليا إذ أنها تخشى أن تكون عاقبة ذلك انتقال السلطة إلى الشيوعيين ، وهي تعرف أيضاً أنه لو تم ذلك فستصبح إيطاليا مركزاً هاماً من مراكز نقل الشيوعية إلى فرنسا وغرب ألمانيا وذلك بطبيعة موقعها الجغرافي وامتدادها في البحر الأبيض المتوسط علاوة على ما زودنه بها الطبيعة من مطارات وموانئ هامة